قرصنةُ الـرُّوحِ

الاثنين ١٨ يناير ٢٠١٠

عدتُ بذاكرتي إلى العصور الماضية، عدتُ عبر الأثير إلى الأيام الخالية، غُصْتُ في أعماق دهاليز عقلي أبحثُ عن ذكرى - ولو صغيرة - عن قراصنة زمني، وزمن الأجداد، والعصور الآنية، فلم أجد إلَّا ذكريات صافية عن شعورِ المرءِ بأنه آمنٌ في بيته من أية قرصنةٍ رُوحيةٍ ومعنويةٍ، وحتى جسديةٍ.

تجربتي الأسبوع الماضي جعلتني أفكِّر بعمقٍ لِمَا يحدث، وبسرعة الضوء والصوت، في حياتنا من تغييرٍ جذريٍّ في نمط حياتنا من شعور الأمن في محيطنا، وبيوتنا، وفي أَخَصِّ مكانٍ في ملاجئنا، عقليات بعضنا تجرَّدتْ من معنى الإنسانية والخصوصية، والمبادئ الإسلامية من حُرمة التجسس، وذكرها بالقرآن والسُّنَّة النبوية، القرصنة الفكرية، والقرصنة الشخصية، والقرصنة النفطية، والقرصنة الإعلامية... إلخ، عدا عن المصطلح الجديد الذي بات سِمةً بين أفرادنا بانتحال الشخصيات والأدوار، وتصدير وإصدار للفضائح الموسمية واليومية والسنوية، فلا يخلو يومٌ إلَّا وقد سمعنا عن فضيحة هذا أو تلك، إما عبر الشبكة العنكبوتية أو الإعلام المرئي والمقروء، فإنها أصبحت مادة للإثارة وأرقام مبيعات وَجَنْيَ أرباح دنيوية.

هنا أتوقف لحظة، وأطالب بقوةٍ بأن نحتذي بالبلاد الأخرى التي بعضها يُعتَبر من العالم الرابع والخامس والسادس بإصدار قوانين تحمي الناس في بيوتها وعملها من هذه القرصنة؛ حيث القرصنة في البلاد الأخرى تُعتَبر عملاً إجراميًّا وإرهابيًّا، وتصل عقوبته من سنةٍ إلى خمس عشرة سنة حسب نوعية القرصنة أو الهاكينج كما يصفه هذا الجيل، فأين نحن من هذا؟ أين نحن من هذه القوانين الصارمة التي

تحمي الرجل والمرأة سواء، وتحمي المصالح العامة والخاصة، والمنشآت الحكومية والصناعية والإدارية.. عدا أننا في مجتمعٍ مبنيٍّ على الخصوصية بشكلٍ عامٍ، واحترام حُرمة المرأة بشكلٍ خاصٍ، فمازلنا - وإن اختلطنا - من المجتمعات التي تدين وتُحكَم بالإسلام، فالأَوْلَى هنا إصدار قوانين تواكب هذا العصر للحفاظ على أهم سِمةٍ من سمات هذا المجتمع الذي يصارع أمواج التقدم السريع، والتقنية والتكنولوجيا بأيدلوجيات لم تعد قادرة على مواكبة هذا التقدم المذهل الذي بات يُقلِق مضاجعنا، ويهز مجتمعنا من أساسه، من اختراقات وقحةٍ سافرةٍ وغير مباليةٍ، بما أنه لا توجد إجراءات معينة تحمي الحقوق الرئيسية للمواطن والمواطنة من القرصنة الجوية.

الغد هو أهم ما في الحياة؛ فهو يأتينا دائمًا بعد منتصف الليل، فمازلنا في بداية طريق الصحوة الروحية، كما أحب أن أتصوَّر، فأبدأ يومي وشهري وسَنتي بنَفْسٍ متفائلةٍ، بأنه لا يزال يوجد أرواحٌ تقيّةٌ، وشخصيات نقيةٌ، وإجراءات أمنية مبنية على المصالح العامة لا الخاصة تخدم كل الجهات سواء الخاصة أو العامة، عندما أشرقتْ شمس الصحوة الحكومية من إصدار فرمانات مَلَكِية من قِبَل مَلِك الإنسانية بأن يُحاكَم ويُعاقَب كلُّ مَن تُسوِّل له نفسه باللعب على الأوامر المَلَكِية من تَقصٍّ للحقائق، والتلاعب في الأرقام والأرواح الإنسانية، عندها يمكنني أن أفعل أي شيءٍ، ولا يعوقني جبل شاهق ولا مشكلة، ولا أمواج عارمة، ولا حتّى قرصنة روحية لأصل إلى أعلى قمة في جبل الحرية الفكرية والشخصية والمهنية مع ملك يدافع عني، وعن كل مواطن بإصدار قوانين تخدم الإنسان والإنسانية.

- **همسة الأسبوع:**

عن الحسن بن علي ﷺ: "يا ابن آدم عِفَّ عن محارم الله تكن عابدًا، وارضَ بما قسم الله لك تكن غنيًّا، وأَحْسِن جوار مَن جَاوَرَك تكن مسلمًا، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلاً".

إنْ كنتَ لا تعرف فتلك مصيبة !

الاثنين ٢٥ يناير ٢٠١٠

إنْ كنتَ لا تعرف فتلك مصيبة..! وإنْ كنتَ تعرف فالمصيبةُ أعظم...

بهذه الكلمات أصف مشاكلنا الاجتماعية أولاً بالنسبة إلى ما حصل الأسبوع الماضي من تصريحِ معالي وزير الشئون الاجتماعية عندما سُئِلَ عما حدث في دارٍ من دُورِ الرعايةِ في المنطقة الغربية، وقال جملته الخالدة: "لا أعلم" وفي اليوم التالي صَرَّح مدير الشئون الاجتماعية بالمنطقة الغربية المشهور إعلاميًّا وميدانيًّا بأن معالي الوزير أخطأ التعبير والتصريح وشرح من خلال مقابلاته الصحفية المعهودة عند كلِّ زوبعةٍ تحدث تفاصيل المأساة وكأنها شأنٌ عاديٌّ يحدث كلَّ يومٍ ومن أعمال أجندته اليومية.. ربما هذا صحيح ولكننا كمجتمعٍ صُعِقْنَا وتألمنا وغضبنا، إن هذه التصرفات والمعاملات الوحشية اللاإسلامية تحدث في بلدنا، ولكن مَلِك الإنسانية المعروف بنصرته لكلِّ مظلومٍ وخاصةً المظلومات، فكيف ببنات بعمرِ الزهور الربيعية وهنَّ يتعرضنَّ للمعاملة الوحشية التي تشبه سيناريوهات الأفلام الأمريكية، نقول إن مَلِك الإنسانية لن يسكت عن أي تجاوزٍ لكائنٍ مَن كان مهما علا منصبه أو سلطته.

أما إحدى مشاكلنا الرئيسية الأخرى فهي في وزارة التعليم مع المدارس الأهلية التي هي الشريان الرئيس لحياة ونشأة بناتنا وأولادنا وأطفالنا، فهل يعرف المسئولون في إدارة التعليم عن المشاكل التي تحدث في هذه المدارس، وأن معظمها توشك أن تيأس وتُغلَق أبوابها لعدم وجود قوانين محددة وواضحة بالنسبة لاستمرارية وقبول ودراسة الطلاب كواجبٍ قانونيٍّ يلتزم به الأهالي بدفع الرسوم كاملة وفي وقتها المحدد لهذه الهيئات التعليمية التي تعتمد بالأساس على هذه

الرسوم لدفع رواتب المعلمين والمعلمات والأنشطة وما دون ذلك من خدمات، خاصةً لمَن أراد بمحض اختياره أن يضع أولاده في مدرسةٍ أهليةٍ لا حكومية، فترى الأم ذات الحَسَب والنسب والمال والجاه ترافق ابنتها أو بناتها بالجملة وهي مرتدية أفخم العباءات الفرنسية مُلحقة بالإكسسوارات الإيطالية وسيارتها الألمانية تسجِّل بناتها وتَعِد بالدفع بعد أسبوعٍ أو أسبوعين، وتودِّع السنة الهجرية والميلادية وهي لا ترد على نداء المدرسة المتكرر ولا على حال المعلمات المؤسف لاهيةً وضاربةً بكل الإنذارات عرض الحائط؛ لأنه لا يوجد قانون يُلزمها ولا يوجد قانون يحمي المدرسة من هذا العَبَث إلا عبر المحاكم الأبدية، وهكذا الرجل فإنه بالمثل يتصرف وكأنه يغار من شريكته فيدخل مُعطَّرًا بالعودِ والريحانِ والسيارة الإيطالية والبشت البحريني يمثل نفس التمثيلية وتتكرر المشاهد والمآسي كلَّ سنةٍ ويكون الضحية المعلمات والمعلمين والطلاب الذين يُصَبُّ عليهم كلمات التجريح من قِبَل الهيئة التعليمية في بعض الأحيان حيث لم يعد الطرفان قادرَين أن يتعاملا بالرفق تحت الضغوط الاقتصادية والاجتماعية فأين المفر؟ هل تعلم وزارة التربية والتعليم عن هذه الحالة المستعصية، فإن كانت لا تعلم فهذه مصيبة وإن كانت تعلم فالمصيبة أعظم.

فالإدارات الخدمية تأخذ وبِيَدٍّ حازمةٍ وتقطع شرايين التنفس وإمدادات القلب من الدماء عندما يحين وقت دفع فاتورة الكهرباء أو المياه أو الغاز أو الهاتف وإن ماتت البنت الصغيرة في الصقيع، وإن رسب التلميذ بدون ضوءٍ ينير دربه، أو أجساد قذرة ليست قادرة على التطهر، وبيوت انقطعت عنها الاتصالات لتصبح منعزلة في عالمٍ أصبح لا يتنفس إلا بالاتصالات.

نداء عاجل لوزير التربية والتعليم بإنقاذ مدارسنا الأهلية من مهبِّات الرياح اللاإنسانية بإصدار قوانين فورية تحمي كل الأطراف، وليست كالعادة قرارات تأخذ أبعادًا وتحسب وتضرب وتقسم أنصافًا لنصرة وحماية حقوق الأطراف كلها.

ثق وأنت تحيا فالأمل طفل لا زال غده أمامه وله في كلِّ غدٍ أملا.

- **همسة الأسبوع:**

مع كلِّ ثانيةٍ تبدأ معنا حياةٌ جديدةٌ، دعنا نتقدم لِلُقياها، فمن الأفضل أن نسير متطلعين إلى الأمام لا إلى الخلف بمَعيَّةِ الرحمن وباسم قوانين العدل الإسلامية والحقوق الإنسانية.

بالألوانِ الطبيعية.. أماناتنا وشبابنا وثرواتنا

الاثنين ١ فبراير ٢٠١٠

طبيعة البشر أنَّهم يقاومون كلَّ ما لا يعرفون، ويخافون ما يجهلون، ونحن على أبواب السنةِ العاشرةِ من القرن الحادي والعشرين الميلادي، وفي منتصف القرن الخامس عشر للهجرة، لا نشعر في وطننا الحبيب إلَّا أننا نعيش في قرنٍ خاصٍّ بنا وبقوانيننا؛ حيث شمسنا غير، وقمرنا غير، وفلكنا غير، وشبابنا غير، وجدة غير، ثرواتنا من شبابٍ ومواهبٍ تتسلل من بين أصابعنا مثل الماء، أو حَبَّات الرمل، منشغلين بالأمانات وأصحاب الأمانات والفساد والإفساد، ونسينا أن أماناتنا هي شبابنا وثرواتنا في أعناقنا، فكَم من الشباب قد خطَّوا على أسطرِ دفاترنا أروع السطور والإبداعات عبر مواهبٍ مدفونةٍ، ومَخفيَّةٍ من الفنون، والصناعات والاختراعات تحت غطاء الحرام، والعيب ولا يجوز وما يصير ولا يليق، فها نحن نمجِّد المطربين في الخليج والخارج، ونضعهم في خانات عِلية القوم، ونحجز لهم عبر الأجواء، وعبر الأثير بما يساوي ميزانية بلدٍ من العالم الثالث، أمَّا المحليون ممَّن يطربون شعبنا عبر شعرائنا الذين يملأون الساحة من كلِّ طيفٍ ولونٍ عن الحب والعشق والهيام، فهم المحترمون والموقَّرون، أمَّا مَن برزتْ مواهبه بمجالٍ أو آخرٍ مغايرًا لطبيعة مجتمعنا ممَّن ينادي بالصحوة الدينية، والأخلاق المحمدية، عبر أغانٍ أو رسائل هادفةٍ لتحاكي عقلية شبابنا الذين خطفهم بريقُ كلِّ ما هو شاذٌّ وغربيٌّ، فهو يُحارَب تحت عنوان «لا يجوز» فأنت ابن عائلة وابن أسرة كريمة، اعمل تحت ستار الليل، وكأنك سارق أو منحرف، وبهذا تضيع الفرصة وتنفجر الموهبة في إطارٍ آخرٍ بعيدٍ عن الصحوة الدينية والمفاهيم المحمدية لتصبح إرهابيةً، كما في دُور الرعاية أو السجون الجوانتانمية أو في دهاليز الأرض المخفية.

إلى متى سنمارس إرهاب العقل على كلِّ ما هو جديد؟ إلى متى سنحارب نزع أقنعتنا، ونمارس فعلاً عبورنا إلى القرن الحادي والعشرين من غير حملةٍ إعلانيةٍ بالألوان الطبيعية نلون بها ألسنتنا، وأقوالنا، وأفعالنا، لتصبح أغلالاً في أعناقنا، أَطْلِقُوا للشباب حريةَ الاحتراف، في كلِّ ما هو هادفٍ ومبدعٍ، ما هو يُعتَبر رقيًّا ولندخل العالم وهذا القرن متسلِّحين بشبابنا أولاد القرن الحادي والعشرين، أو الخامس عشر الهجري.. لا فرق، على أن نتقبَّلهم ونفسح لهم المجال لنرى أعمالهم وإبداعهم وتطورهم بدون تضييقٍ، بدون قيودٍ، بدون حدودٍ؛ ليرتقوا ويصبحوا بالفعل بترولنا وذهبنا.

وهنا لا أريد أن يفهمني أحدٌ بالشكل المعتاد، أن يأخذوا الكلمات ويتركوا المعاني، فهم سيرسمون حدودهم وقيودهم بالشكل الذي يناسب عصرهم من إبداعٍ، ودين ودنيا، فلنتقبَّل الآخر ولنصبح إخوانًا وأخوات لأولادنا، ولنأخذ بأيديهم إلى أول الطريق ونتركهم لإبداعاتهم بدون طبقيةٍ ولا هِجرية ولا ميلادية؛ فهم الذين سيكملون الطريق بعدنا شئنا أم أبينا، فهذه هي سُنَّة الدنيا، فلابد من الأجيال أن تتعاقب، ولابد من المجتمعات أن تتغير، ولابد أن نتقبَّل الآخر، فمَن هم على دينٍ هم على صدقٍ وأمانةٍ لابد من مواجهة التغيير في كلِّ شرائح وطبقات المجتمع من مهن ومواهب وأعمال وطريقة حياة، لنَعِشْ متناغمين مع أنفسنا والعالم الآخر الذي أصبح في بيوتنا وعلى مائدتنا وفي أروقة مَخادعنا، فلنشجع هذه الأجيال الشابة بكلِّ ما هو فيها من نواقصٍ في نظرنا؛ لأنه لابد أن نبدأ بالناقص لتكتمل بعدها اللوحة والريشة في يدِ الرسَّام يُضَاف لها كلَّ يومٍ من التفاصيل ما يكملها.

▪ همسة الأسبوع:

سُئِل الحسن البصري - رحمه الله - يومًا: ما سرُّ زُهدك في هذه الحياة؟ فأجاب: علمتُ أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي، وعلمتُ أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلتُ به وحدي، وعلمتُ أن الله مُطَّلِعٌ عليَّ فاستحييتُ أن يراني على معصيةٍ، وعلمتُ أن الموت ينتظرني فأعددتُ الزادَ للقاء ربِّي.

مِنْ وجهةِ نظري

الاثنين ٨ فبراير ٢٠١٠

لستُ كاتبةً هندسيةً، كما أنني لستُ مهندسةً معماريةً، ولكني كمواطنة تعشق التراث والحضارة الإسلامية والآثار النبوية أراقبُ باندهاشٍ الثورة المعمارية في بكةٍ في المدينة المقدسة التي أَرْسَى قواعدها خليل الرحمن وإسماعيل عليه السلام، فلم تعد ترى أثناء دخولك لهذه المدينة العَبِقَة بالتاريخ الإبراهيمي ثم المُحمَّدي إلا أبنيةً شاهقةً وإعلانات ضخمة تروي قصتها عن الآتي من تطورٍ عمرانيٍّ وتسهيلات لرجال الأعمال، وما تحتويه الفنادق الجديدة من خدمات للرياضة والاسترخاء والمتعة البشرية منها التقنية ومنها الاسترخائية من فخامةٍ وصراعٍ على مَن يعلو أكثر في البناء ومَن يقدِّم أكثر أجواء الرفاهية!...

أوَ لم تكن مكة أُسِّسَتْ على التقوى والعبادة؟ أوَ لم تكن مكة عمرتها وحجتها كالجهاد؟ فأين الجهاد مع الاسترخاء والخدمات المقدمة من كلِّ ما لَذَّ وطاب من المآكل والخدمات والتسهيلات العصرية؟.. أين التراث المعماري الذي تحافظ عليه معظم البلدان السياحية التي تعتز بتاريخها الإغريقي والفينيقي والفرعوني وحتى الإسلامي؟ ويحافظون عليها حتى لو كان جدارًا أو سورًا أو مباني أثرية تحكي للعالم عن الحضارات بكلِّ عزٍّ وافتخارٍ.. أما بكة فقد أصبحتْ تُطاوِل في العمران بما لا يَمُتُّ بِصِلةٍ إلى تراث المحجة البيضاء ولا الآثار النبوية ولا حتى إلى تاريخ أو هندسة إسلامية معمارية، وعند طوافك بالبيت المعمور تكاد لا تستطيع حتى أن ترى السماء وترفع يديك للرحمن حتى ترى المباني الشاهقة؛ وليس الجبال المقدسة التي خطى عليها الرسولُ الأُمِّيُ القُرَشِيُّ ﷺ.

بكة أو مكة المدينة المقدسة أصبحت مدينة العمران والأحياء العشوائية التي من المفروض أن تُنسَّق من داخلها وأعماقها من التشوهات اللاإنسانية واللاإسلامية وتخط لها طريق وهندسة إسلامية وخدمات لا تلغي معنى الجهاد ولا الاجتهاد، هذا من وجهة نظري.

أمَّا عاصمتنا السياسية فعلى النقيض تمامًا، فقد رسم لها أميرها - الذي خطت السنون على محياه علامات الوقار - الشاب بقلبه ورؤيته صورةً مشرفةً ما بين المباني الشاهقة والدوائر التي تعبق برائحة التاريخ النجدي، فنرى تناغمًا قلما نراه في أيٍّ من العواصم الخليجية، فنرى الشوارع العريضة والأحياء المُنسَّقة والفنادق الأنيقة والتسهيلات لرجال وسيدات الأعمال والوفود تنساب بتناغمٍ لترقى بأفضل الخدمات التطويرية لتعطي عاصمتنا الرياض نكهة العصر على إيقاع العرضة النجدية.. أما الناحية الثقافية فالحديث عنها يطول، فمن مَعارضٍ ومنتديات ومتاحفٍ تحمل توقيع الأمير سلمان وبصمته عليها؛ لأنه فنانٌ في أدقِّ تفاصيل حياته وتواضع شخصيته وصرامته في تنفيذ القوانين واستحداث المخارج بكلِّ سهولةٍ ويُسرٍ، أما سياسيًّا فقد أنشأ للرياض منطقةً ترقى إلى أحدث المستويات العالمية من تدبيرٍ أمنيٍّ واحتضانٍ للقمم والأحداث والقرارات التاريخية للملوك السابقين، وكذلك لمَلِك الإنسانية وولي عهده، فقد وضع قواعدها وأسسها بحزمه المعهود الذي ينبع من شخصية قائدٍ ومُطوِّرٍ لهذه العاصمة منذ عقود، فترى كلَّ يَهابُ أميرها الذي لم يبخل عليها بل أثراها بمعلوماته التاريخية وأصالته النجدية ليرسم قالبًا لها من شذى تاريخها وملامح عصرنا لوحةً قلما نراها في أيةِ عاصمةٍ خليجيةٍ أو عربيةٍ.

فتحيةً مني ووقفة احترام وإعجاب لكلِّ مَن ساهم في رسم هذه اللوحة التي تعبر عن هويتنا الوطنية؛ لذا أردتُ ان يكون لهذه المدينة التي يتجه إليها ملايين المسلمين يوميًّا، ويتوافدون بالملايين سنويًّا بصمةً لا تفقد هويتها الإسلامية التراثية، ولا تُفْقِد الحاج أو المعتمر لذة الجهاد وثوابه وتُمتِّع القادم إليها

بالروحانيات المحمَّدية بإبقاء هندستها المعمارية إسلاميةً نبويةً تراثيةً قُرَشيةً ندخلها بسلامٍ آمنين، وننسى العالم والحضارات والتقنيات، نتسربلُ بالخشوع والسكينة لنعبد الرحمن في أطهر وأطيب بقعةً على وجه الأرض ونتلقَّى الإجابة في أجواءٍ روحانيةٍ بعيدة كلَّ البُعد عن الضوضاء والاتصالات الإنسيَّة، ونعبر عبر الأثير للأزمان الماضية بما فيها من صفاءٍ رَوحانيٍّ وجهادٍ فيزيائي وكيميائي وعقلي يأخذنا بدون وسيطٍ إلى الأعالي وجنان الخلود وأنهر من لبنٍ وعسلٍ مُصفَّى وخمرٍ في ظلال الرحمن، وتبقى في الأخير أنها وجهة نظري! .

- **همسة الأسبوع :**

متيمٌ :

تعلقت بالأستارِ والبيتُ زرتُه وأنت بما في القلبِّ والسرِّ أعلمُ
أتيتُ إليه ماشيًّا غير راكب لأني على صغري مُحبٌّ مُتيمُ
هويتك طفلاً ولا أعرفُ الهوى فلا تعزلوني إنني متعلمُ
وإن كانت حانت إلهي منيتي لعلي بوصلٍ منك أحظى وأنعم

مَلِكٌ وشعبية للإسلام والإنسانية

الاثنين ١٥ فبراير ٢٠١٠

أن يتصدرُ قائدٌ عربيٌّ قائمة يُجمِع عليها قادة العالم الإسلامي فهذه هي معجزة؛ فالمألوف لدينا هو الاختلاف وليس الإجماع، فقد تَصدَّر ملك الشعب والوطن قادة العالم الإسلامي بالتأييدِ المُطْلَقِ والشعبيةِ بين مختلف أجناس الأمة العربية وعلى القدرة على اتخاذ القرارات الصعبة في زمن المهمات المستحلية فهذه معجزة بحدِّ ذاتها والخروج عن المألوف من التنافر والتزاحم على مَنْ يتخذ قرارات فورية وعدم تفعيلها في صميم كيان الأمة العربية.

فجاءنا شبلُ صقر الجزيرة العربية ليرتقي بقراراته التاريخية ويجتمع حوله مختلفُ الأطياف من القيادات ومن قبلها لم تجتمع النيات، فوَحَّدَ وقارب وسامح، بكلِّ شموخٍ أخلاقه الإسلامية على مَن تجرأ عليه من قبل بكلامٍ لا يرضي الله، ولا يليق بأخوة العروبة، فوقف أمامنا ملك الإنسانية بشموخٍ واعتزازٍ وقدرةٍ على التسامح لم ولن نعهدها من غيره، وحكمة لا يلقاها إلا ذو حظٍّ عظيمٍ.

أما اتخاذه لقرارات تاريخية غيَّرتْ مجرى العالم الإسلامي والغربي، فتسَامُحَهُ مع سائر الأديان ما هي إلا عِبرةً لمَن يحارب الاختلاف، ألم يكن خير البرية قد أوصى بالأقباط في مصرٍ وجَاوَرَ اليهود في يثرب، وحَارَبَ قريش في مهدِ ومعقلِ رأسه لنصرة كلمة الله وإعلاء دين الله، دين التسامح والسلام ونشر الأخلاق الإسلامية؟!

وهاهو ملكٌ أتاه الله من لدنه رحمةً وحنانًا ولم يكن جبَّارًا شقيًّا، شَفَتْ روحه بخُلُقِ الإسلام فعَايَشَ الإسلام معنىً وجوهرًا حقيقيًّا لا مظهرًا وتظاهرًا، قائد حقيقي أَبِيٌّ،

إنسان لم يمنع دمعةً أن تسقط من عينيه على طفلٍ جريحٍ أو وضع مسيءٍ في أي بقعةٍ من بقاع العالم، قائد لم يأبه بالظهور ولم يأمر بحشد المصوِّرين والمراسلين الصحفيين لتتبعه، مسح دمعةً هطلت من عيون قد خَطَّ عليها الزمان تجارب إنسان وأب وخادم للحرمين الشريفين الذي ازدان به اسمه تشريفًا، ليضع حجر زاوية ولَبِنَة أساس لانطلاقة مسيرة النهضة والتقدم والرقي في وطنه ويصنع من كلمة المحاسبة هاجسًا لذئاب الغابة الذين تجرَّأوا على خيانة الأمانة وليس للخائن أمانة.

طار من بلدٍ إلى قارةٍ إلى حدودٍ ملتهبةٍ، هاجسه العدل والعدالة والنصرة على الأعداء، لم يأبه بالأصوات العالية التي تنادي بالتخلف، والعودة إلى الوراء والاختباء تحت عباءة الدين - والدين منها براء - والشعارات الجوفاء، ومضى قدمًا في خطةٍ مدروسةٍ كما عهدناه مَلكًا وإنسانًا له من صقر الجزيرة شبهًا كبيرًا، فالأول وَحَّد والشبل أَخَى بين الأعداء من أمتنا، ومَدَّ يد التسامح لكافة الأديان، أَنَعْجَبُ ونحن أولاده وشعبه أن يتم اختياره مَلِكًا وأكثر الزعماء شعبيةً في العالم الإسلامي، بل مُلْكَه شعبية الإنسانية من الغرب إلى الشرق يحبونه ويحترمونه، وتسعى الدول العظمى للحوار معه ليرجع بنا في الجنادرية إلى قصص الرجولة والبطولات الإسلامية مع ضيوفه من شتَّى الأطياف والأديان والمقامات، ليروا بأمِّ أعينهم إنسانية شبل صقر الجزيرة، فتحية وفاءٍ من شعبك الذي كان أَوْلَى مَن يتوجك مَلِكًا للقلوب والإنسانية، ولا أنسى هنا دورك بين نساء وبنات وطنك اللاتي يتنفسن نسائم الحرية والمساواة الإسلامية.

■ همسة الأسبوع:

عن جعفر الصادق: إذا طلبتَ الجود فعليك بمعادنه فإن للجود معادن وللمعادن أصولاً، وللأصولِ فروعًا، وللفروعِ ثمرًا ولا يطيب ثمرًا إلا بأصولِ، ولا أصل ثابت إلا بمعدنٍ طيبٍ.

قضايا إنسانية ومعاهدات دولية وانهزام قضية

الاثنين ٢٢ فبراير ٢٠١٠

شرَّفني أن أحضر منتدى جدة الاقتصادي لهذه السنة، وقد أحزنتني القضايا المطروحة التي هي بحدِّ ذاتها رائعة المعنى، وتحمل رؤيةً واضحةً لكلِّ المتحدثين عن مستقبل أوطانهم وخططهم المدروسة بعنايةٍ للعشر سنوات المقبلة وثقتهم المطلقة بقوانينهم التي تطوَّرتْ لتواكب منظمة التجارة العالمية بما فيها من شروطٍ وتصنيفات ملائمةً لهذا القرن الجديد، واستحداثهم لدورات تثقيفية لمؤسساتهم لترقى لأفضل المواصفات العالمية متعاملين بواقعٍ ملموسٍ لكلِّ ما يعترض طريقهم لتنمية بلادهم وتصدير تقنياتهم إلى الدول المشتركة في المنظمة العالمية وغيرها من الدول النامية.

وهنا بدأت أتساءل: أين نحن من هذه الدول المتقدمة التي نستضيفها كلَّ سنةٍ على أملٍ أن يسمع المسئولون بالوزارات ويتعلَّمون ويطبِّقون ويدرسون ويضعون خططًا لصناعات ومؤسسات وشركات وطننا على أسسٍ مدروسةٍ؛ لتواكب هذا التطور والتقنيات والشروط المطلوبة لنصبح مصدِّرين، وليس فقط كمستوردين لهذه الدول؟

وجدتُ في المنتدى أسئلةً من الحضور السعودي فارغة الفكر والمحتوى، فكانت الأجوبة ساذجة وكان المتحدثون يغلبهم الملل من الأسئلة الجوفاء والفهم المختصر بلغةٍ إنجليزيةٍ ليس لها محتوى ولا هدف إلَّا الاستعراض بأننا نفهم لغتهم ولكن ليس كلامهم.

خرجتُ يحاصرني تساؤل عن هدف هذا المنتدى الذي تم تحضيره من قِبَل مركز الخليج للأبحاث؛ فهذه المؤسسة لم تبخل باستقطاب المؤهَّلين من وزراءٍ وعلماءٍ،

ولكن ألم يكن الهدف الرئيس هو تحسين وضعنا التجاري وسط أمم لها عشرات الأعوام من التجارب لنستفيد منها، ونجعلها لَبِنَة للمضي إلى الأمام من استفادتنا لكل ما يفيدنا في دخولنا إلى عالم التجارة الدولية؟! فها هي قوانيننا حبستنا في أقفاصٍ ذهبية المعدن مُرجانية المنظر، خالية جوفاء من الباطن، لا تُغنِي ولا تسمن من جوعٍ.

إلى متى أيتها الوزارات سنظل سُجناء أقفاصك الرسمية ووعودك الوهمية وسقوف من الطلبات تؤخِّرنا وترجع بنا إلى عهودٍ لم تعد تصلح لهذا الزمان ولا المكان الذي تبوأت المملكة فيه كرسيًّا ظاهرًا للعيان ولكن ليس ظاهر الفاعلية.

متى سنصبح قومًا يقولون ما يفعلون بدون تصريحات إعلامية، ولا شعارات وهمية بأننا نتقدَّمُ إلى الأمام بخطوات مدروسة كخُطى السلحفاة على الرمال الذهبية؛ فنحن أمَّةٌ يشهد لها تاريخها بالتجارة والذكاء العملي، ولكن مناهجنا لا تواكب هذا التقدم المذهل، ولا قوانيننا العملية والتجارية، وما إليك من الوزارات التي تقدر أن تأخذ بيدنا وتقحمنا في عالم التجارة العالمي.

لابد من دراسات وافية لكلِّ ما يتعلَّق بالعمل والتجارة، وما يليها من الوزارات التي لها شأنٌ مباشرٌ في هذه العملية التطويرية، وهذا يشمل أبناء الوطن ذكورًا وإناثًا على حدٍّ سواءٍ، يدًا بيد لمستقبلٍ مشرقٍ بالفعل والقول، ولا أجد لكلِّ هذه الطلبات من مانعٍ مع مَلِكٍ مستعد لإعطاء وطنه وشعبه كلَّ الأوامر التي تسهِّل لنا العبور إلى المستقبل، مستقبل الأجيال والوطن؛ لنخطو بسهولةٍ وانسيابٍ على نغمات السيمفونية العالمية بدون نشازٍ، لنُنشد سويًّا مع العالم أنشودةً يغلب عليها الطابع الإسلامي، ورؤية سليمة واضحة المعالم لمَن يحب أن يقرأ في دستورنا الإلهي لكلِّ ما يتعلَّق بالحياة وأمورها التي لا توجد على أرض الواقع.

■ **همسة الأسبوع:**

مَن يعطي باليد القصيرة يعطي بالطويلة

أيضًا تكلَّموا تُعرفُوا.. فإن المرء مخبوءٌ تحت لسانه

وكلُّ وعاءٍ يضيق بما جُعِل فيه، إلَّا وعاء العلم فإنه يتسع

عجب المرء بنفسه إحدى حساده عقله [1].

(١) من أقوال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

عيد الحُبّ وأهالي حي السامر والمرأة

الاثنين ١ مارس ٢٠١٠

للوهلةِ الأولى يتبادرُ إلى ذهن القارئ ما هو الرابط الحقيقي لهذا المثلث الذي لا تلتقي زواياه أبدًا؟

فالزاوية الأولى هي قراءتي لخبرٍ نشرته الزميلة الشرق الأوسط في زاويتها الفنية ليوم الجمعة ٥ ربيع الأول، والذي أوحى وكأن الصحيفة لا تنتمي للعالم الإسلامي فتجعل مواضيعها على الأقل في هذا اليوم الفضيل أقل استفزازًا لمشاعرنا كمسلمين عن حكايات أهل الفن وطقوسهم الدينية، فقد كتب الزميل عبدالله مخارش من بيروت عن حظه السعيد بمرافقة فنان العرب محمد عبده ورابح صقر في حفلتهما في يوم عيد الحب، ووصفهما أنهما ألهبا هذا اليوم الذي هو في الأصل مشتعلٌ ويحترق تحت انحراف العادات الغربية التي باتت هاجسنا ليلاً ونهارًا، والأشنع والأعجب في تغطية الزميل وصفه بأن الفنان محمد عبده قد توقف عن الغناء لأداء صلاة الفجر احترامًا لدينه ثم عاد إلى الحلال من الغناء والطرب والجلسة الصباحية على أنغام وكلمات وهمية في تلك الليلة والفجرية والصباحية التي كان من الممكن أن ينشد فيها أنشودة عائض القرني الدينية كختامِ مسكٍ وعنبرٍ وروح وريحان.

أما الزاوية الثانية فهي عنوان جريدة المدينة لنفس اليوم عن نداءات الاستغاثة من أهالي حي السامر وبالحرف الواحد: "مساجدنا ومدارسنا أصبحتْ محاطة بالمخلفات والمياه العفنة" ولا حياةَ لمَن تنادي ولله المُشتَكى وما إليها من مآسٍ في هذه الأحياء، أين الضمير الإنساني؟ أين النخوة الإسلامية؟ أين البلدية؟ أين الأمانة؟ أين الأمانة المَلَكِيَّة التي سلَّمها مَلِك الإنسانية لذوي الضمائر؟ أين محمد

عبده ورابح صقر ومطربونا وجلساؤهم وجمهورهم من هذه المأساة الإنسانية؟! فهم يحتفلون بعيد الحب، وفي وطنهم وشوارع وأحياء مدنهم احتفالات بهدم القِيَم الإنسانية، أين تعاليمنا المُحمَّدية بأن أيامنا كلها حب وتراحم وإنسانية وبأنه لم يُبعَث ﷺ إلا لإتمام مكارم الأخلاق في الجاهلية لتصبح في عهده النوراني منهجًا، قمة الحب والإخاء بين مختلف الأطياف من القبائل، وأن الله كان بعون العبد مادام العبدُ بعون أخيه، ألم يكن الطرب في الجاهلية والمزامير هي سِمة جلساتهم ولهوهم وقمة اتباع الأهواء البدائية ثم أصبحت بعد محمد بن عبد الله ﷺ جلسات تبادل أفكار وحوارات إلهامية وقمة من الثقافة الكونية وتَنَافُس على تصدير الحضارة الإسلامية بما فيها من اجتهادات في سكون الليل من عمق التفكير وشذى التعبير؟! ويناجون السميع المجيب في ساعات ما قبل الفجر، ونهارًا يسعون فيه لمعاونة الضعفاء ونشر العدالة وتقويم أمور الناس من الألف إلى الياء.

أما الزاوية الثالثة فمقال الشيخ عائض القرني - حفظه الله - في نفس اليوم عن عدم كفاءة المرأة كحاكم في الإسلام واستنباطه من آيةٍ كريمةٍ في القرآن تعجب الهدهد لولاية امرأة عرش بلد لم يكن به حروب ولا مناوشات ذكورية ولكن أمرهم شورى، وحديث شريف بأنه لا يفلح قوم وَلَّوا أمرهم امرأة... وهنا أعترف بأنني لا أملك الشهادات الدينية ولا الخبرة العلمية لأناقش سعادة الشيخ وغيره ممَّن يتبنون هذه الآراء عن صحةٍ وإجماعٍ وقياس هذا الحديث، ولكني أزعم بأنني أملك فهمًا عميقًا لِمَا آلت إليه المجتمعات والأوطان على يد الذكور على مرِّ العصور، من دولٍ وعصورٍ أموية وعباسية وعلوية وعثمانية وفاطمية، وما آلتْ إليه هذه العصور من بطشٍ وتدميرٍ للآخر، حتى الإخوة كانوا يقتتلون من أجل السلطة، ولم يَسْلَم آل بيت النبوة من الهمجية الذكورية، هل كان أهل السامر سيعانون لهذا الحد ويتعرضون لهذه المآسي لو كانت امرأة على رأس الأمانة برحمتها وحنانها التي يعايرها بها الشيخ القرني ويجد أنها سمات لا تصلح لأن تكون في الحُكم؟ أين الفهم الإسلامي العميق لدور المرأة في الدين والدنيا والقرآن، والفهم لكيفية

استغلال هذه المزايا الإلهية لقيادة أجيال قادمة إلى النجاح والتنظيم والصبر؟ أوَ لم يكن الحمل والولادة والتربية قدرةً إلهيةً مُنِحَتْ للمرأة بأن تكون مربية الأجيال وحاملة الرسالة، فلِمَ ننكر عليها تولي القيادة بعد أن تتم واجباتها الأسرية، وتصبح في سنٍّ متفرغة لإعطاء ثمرة جهودها وخبراتها بالطريقة السلمية والإنسانية لوطنها وأجهزته التي أُعْقِمَتْ من الرائحة الذكورية؟

ولا أنسى هنا تذكير شيخنا أن يكتب عن موقفه من عيد الحب ومطربيه عوضًا عن تذكير المرأة والرجل والمجتمع برؤيةٍ لا تعبر عن تطلعاتنا لدور المرأة في مستقبل بلادنا مع كلِّ احترامي وتأكيدي على دورها الأول والأهم وهو تربية الأجيال، وفي قضايانا المعاصرة من سيولٍ وإنسانيةٍ وواجبات المسلم وحثِّه على مساندة أخيه من فقهٍ في الأخلاق والمعاملات المحمدية لكلِّ العصور الماضية والآتية.

- **همسة الأسبوع:**

لحظةٌ واحدةٌ يتأملها الإنسان تحمل إليه صورة مبنى عظيم، إنها لحظة يتضاءل أمامها كومٌ من الصخور.

رحلة التيهان

الاثنين ٨ مارس ٢٠١٠

حالةٌ تتكرر كلَّ يومٍ، ووجوهٍ تتكرر كلَّ يومٍ في مسيرة الحياة العصرية طرقات تملأها السيارات من كلِّ لونٍ ووطنٍ، كأنه لا يَمُتُّ لنا بِصِلةٍ، فهاهي نفس الوجوه، ونفس الغتر وإن كانت جيفينشية أو أرمانية ونساء تَلفُّهنَّ عباءات فرنسية وإيطالية ومحلية، وشالات مطرزات بالدرر النفيسة والمُقلَّدة، يتسابقون للوصول لعنوانيهم المجهولة الهوية، مدارس تمتلئ بطلابٍ يغشى سيماهم النوم والشعور باللامبالاة، وتكرار للصيغة العلمية، صُحُفنا مليئة بأخبارٍ من كلِّ حدبٍ وصوبٍ من فسادٍ وإفسادٍ، ومعارك وثنية بين قبائل وحَّدها الله ثم صقر الجزيرة العربية، معارك حَسَب ونسب وغيرها من عادات الجاهلية، ألم يجيء خيرُ البرية ليوحِّد ويؤاخِي بين الأبيضِ والأسودِ ويدحر الأنساب لانسياب الأخوة البشرية، ألم يقل الله في كتابه { **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**}[1] ألم يقل النبي الكريم محمد بن عبدالله القُرشي التهامي: "إنه لا فرق بين عربيٍّ وأعجميٍّ إلَّا بالتقوى".

روتين وتدور عقارب الساعة، وترجع الأجساد المتهالكة إلى عرينها بأقنعتها، ولا تخلعها بل تنام القيلولة فيها، لتستيقظ بعد هذا وتمارس حالة التكرار والأدوار، فضاعت الهوية الوطنية وراء وجوه لنساءٍ شبيهةٍ بل طِبق الأصل عن نانسي عجرم، وهيفاء وهبي، وإليسا، ووجوه رجال تحاول أن تستعيد شبابها عبر عيادات التجميل الوهمية، وشباب يطيرون وراء كلِّ موضةٍ منها ما يسمَّى الديرتي لوك وغيرها من الأسماء الرومية، وشابات ضعن وسط زحام الأسواق والمولات العصرية، فالتقى الجنسان في المقاهي والمطاعم الغربية، محاولين كسر رتابة

(١) سورة الحجرات الآية ١٣

حالة التكرار المجهولة الهوية، الكلُّ تائهٌ يبحث عن عنوانٍ وشخصيةٍ وهميةٍ ليمارس ما تمليه عليه الصحف والوسائل الصورية من إعلامٍ قد مَجَّدَ ممثلين وممثلات، فأصبحوا القدوة والمثال للغة العصرية.

حتى حياتنا وهواياتنا أصبحتْ في طي النسيان، ومعالمنا ضاعت بين العولمة والانقياد إلى كلِّ ما هو شاذ، فهذه هي اللغة العصرية، حتى مشكلاتنا الاجتماعية توارتْ خلف قضبان الحياة الغربية من سوء معاملة وعقوق وحرمان وقتل النفس البريئة، إدمان ومخدرات بالأطنان تنسلُّ إلى بلادنا لتأخذ بعقول شبابنا وكهولنا، وخمر الدنيا الذي أصبح له مصانع محلية، وتمتد يد العدالة لتُجهضها في بداياتها، ومن بيوت دعارة آسيوية ومحلية تختبئ تحت جناح الظلام لتخرِّب ما بَقِيَ من أخلاقنا المُحمَّدية...

ماذا حصل لنا؟ رحلة تيهان تمتد إلى جذورِ ترابنا لتقتلع بُنياننا من أساسه، وتنثره للرياح العاتية، أسواق أسهم يتعلَّق بها التائهون، ويحلمون بالثروة الفورية واختلاسات وسرقات جهورية، ومازلنا نتحدث عن لباسِ المرأة وكفَّيها ونعليها ومشيتها وعباءتها وحجابها، وقيادتها أو عدم صلاحيتها لقيادة الأجيال، ونسينا أن التقوى في قلب الإنسان وليس بالبراقع الأنثوية التي تثير وتكشف أكثر ممَّا تخفيه من مشاعرٍ ثوريةٍ، وتقصير الثياب للرجال، وإطالة اللحى التي تتناثر ذات اليمين وذات الشمال، وفتاوى عصرية لا تَمُتُّ بِصِلةٍ إلى السُّنَّة ولا الفقه ولا الأحاديث المَرويَّة.

تائهين وسط الظلام في رحلةٍ عصريةٍ بين رياح الملل، والمذاهب التي لم يضعها خير البرية، أين الفتوحات الأندلسية وأيام المجد والشجاعة وأيام خالد بن الوليد والصحابة وشهامتهم وأخلاقهم الإسلامية؟ أم أنني أحلم وأتوقع كلَّ يومٍ تغييرًا جذريًّا في نمط حياتنا المتكررة، فلا من التاريخ تَعَلَّمنا، ولا السيرة اتَّبعنا، ولا حتى الرياضات الإسلامية من الفروسية والسباحة والرياضات الدفاعية أمضينا فيها أوقاتًا تذروها الرياح بلحظات تافهة ما بين الشيشة والمقاهي والقهوة الغربية.. أين

قهوتنا العربية؟ أين المروءة؟ أين البر والإحسان والوفاء والصدق وصلة الرحم التي أَقْسَم بها الرحمن؟ أين تقوى القلوب ورضا الرحمان...

فها قد تُهنا في رحلة التيهان، فهل من ملبٍّ؟.

- **همسة الأسبوع:**

أصحاب العقول العظيمة لديهم أهداف وغايات، أمَّا الآخرون فيكتفون بالأحلام، فعندما تطلب تحقيق ما هو مستحيل تحصل على أفضل ما هو ممكن؛ فوضوح الأمل مثل بزوغ الفجر.

موت امرأة وأفراح نسائية

الاثنين ١٥ مارس ٢٠١٠

غَيَّبَ الموتُ إحدى السيدات التي لا أعرفها جيدًا بل معرفتي هي عبر الهاتف لم تستمر إلا لثلاثِ دقائق، وثمرتها عبر الأثير شعورٌ متبادلٌ بالارتياح النفساني وكأننا نعرف بعضنا منذ زمانٍ، وللمفارقة كانت مواضيعها عملية بحتة ولم تكن لتبادل الآراء أو الاستشارة أو معرفة أحوالها الاجتماعية، ولكن وعبر الخطوط اللاسلكية سَرَتْ مشاعرٌ داخليةٌ سِرِّيةٌ أنثويةٌ، تَنُمُّ عن معاناةٍ إنسانيةٍ لامرأةٍ مُكافِحَةٍ أبيَّةٍ، لم تشتكِ لم تبكِ، ولكن كانت عباراتها شجية مملوءة بأحزانٍ خفيةٍ، ولكني التقطتها عبر رادارتي الأنثوية وحاستي السداسية، فكان الانسياب والتوافق واضحًا ومليئًا بالتساؤلات، وانتابتني حالةٌ لم أعرف لها مُسمىً.

وبعد يومٍ واحدٍ من مهاتفتها لي تلقيتُ خبر موتها الفجائي، الذي هزَّني من الأعماق وعرفتُ في لحظتها أن لله ما شاء وما قَدَّر، وعرفتُ مصدر أحاسيسي الغريبة التي راودتني عند الاتصال الأخير.

وسألتُ عنها وعن أحوالها الأسرية، فعرفتُ سرَّ أحزانها وأسرارها الدفينة التي أَبَتْ أن تنشرها للعامة، فكانت أبيَّةَ الرُّوحِ، صامدةَ الموقف، محرومة، مِعطاء، مثالاً للمرأة المُناضِلة التي تدير معاركها بصمتٍ واحترامٍ ورُقي لا ينبع إلا عن أخلاقٍ إسلاميةٍ محمَّدية لِمَا يجب عليه أن تكون المرأة في أحوالها الدنيوية، فقصتها مزيجٌ من ألمٍ وعذابٍ من رجلِ هذا الزمان الذي دائم الأخذ وعديم العطاء، والذي أصبحت سمته الإذلال والاستغلال، وباختصار العنف الأسري الذي هو سِمة هذا المجتمع الذكوري الطابع، المتخفِّي تحت ستار الألقاب والشهادات العلمية، لأنماطٍ من الرجال استتروا تحت عباءة الأسماء والقبيلة وحتى الدونية،

لنمطٍ لم نعهد له هويةً في الأزمان الماضية، ولا في قصص أجدادنا التي تزيَّنت بقصص السيد والرجل وسي السيد، ولكن بأشكالٍ وقصصٍ مرويَّةٍ عن ذكورية الرجل، وأنوثة المرأة والعطاء المتبادل تحت ستار الليل وفي أروقة المَخَادع من حبٍّ وحنانٍ وعشقٍ ورحمةٍ، وزوال الأقنعة اليومية التي كان يزاولها الرجل لإثبات رجولته من بحثٍ دؤوبٍ للعمل وعن مصدر رزقٍ يفتخر به عند أنثاه، ويؤمِّن لها كل ما تشتهيه من أمورٍ دنيويةٍ، وهي بالمقابل تسعى لمرضاته بشتَّى الوسائل والطرق وتبني له عُشًّا يستقر به في كلِّ ليلةٍ، وهكذا تدور الأيام...

فالفجيعة الكبرى في أيامنا الحالية هي ما نراه ونسمع من قصصٍ تُبكِي العيون الإنسانية وتغلي في النفوس الأبية من نساء ورجال لا يزالون يغارون على النفس البشرية وآلامها المستمرة الباحثة عن الحرية والمساواة والمعاملة السوية، فمِن ضربٍ لمربية أجيال وسلاطة اللسان وخيانة وابتزاز وطرد وتشريد أسرة.

فكانت هذه قصة هذه الإنسانة الذي هزَّني موتها، وبسكونٍ رحلت كما جاءت، وكانت قصة منسية وخلَّفتْ وراءها رجلاً بلا ضمير، ولا أخلاق محمدية بمجتمعٍ أصبح لا يأبه بهذه الحالات، ويهمِّشها ويعتبرها حالات فردية، وهي وبكلِّ أسف أصبحتْ هي الهواية والهوية الوطنية لذكورنا بكلِّ الأطياف والطبقات الدنيوية، وأولاد صغار سينشأون على سيرة أمٍّ ذهبتْ وشُوَّهَت سُمعتها من قِبَل أعمامها وعماتها وأبٍّ لا يتحلى بضميرٍ...

وتدور الأيام وتبقى القصة المأساوية تعبر عن مجتمعٍ أصبح ضميره خاليًا إلا من الأنساب والحسابات البنكية، والسعي الدؤوب للعيش على فضلات المجتمع المخملي وانتسابه للألقاب المدوية.

وبالمقابل ظاهرة الأفراح النسائية التي ظهرتْ أخيرًا في المجتمع وفي الصُّحف المحلية التي تطلقها النساء عند حصولهنَّ على طلاقِهنَّ، وهُنَّ يصرخن: أخيرًا تحررنا، ويُعلَن على الملأ عن قصصهن منها الحمراء ومنها الصفراء ومنها

المدوية بتفاصيلٍ يخجل ويندى لها الجبين من تفاصيلٍ عن عِشْرةِ أيامٍ وسنواتٍ وعقود مَرَّتْ مع رجلٍ مجهول الهوية، فأصبح في حفلاتهن معروف القصة والتفاصيل وحتى اللحظات الضائعة بأروقةِ المَخَادع وما لها من حُرمةٍ دينيةٍ، فيتكلمنَّ عن سيرتهم وكأنهنَّ بها سيصبحن أساطير مروية في مجتمعٍ نسائي، تعلوه مفاهيم خاطئة عن الأخلاقيات الأدبية الراقية بمعانيها وتعاليم دينها الذي أمر بالستر عند الابتلاء إلا إذا كانت عند ذي القربى، فأما نحن فمذبذبون بين هذا وتلك وذين، ولم نعد نعرف المعادلة الصحيحة بين افتراق دربين لم ولن يلتقوا أبدًا من علو امرأة وانحطاط القيم النسائية، فلا معادلة ولا مقارنة ولا حتى أمثال شعبية قادرة أن تلم شَمْل المرأة في حياتنا العصرية التي لم يعد يوجد للمرأة ولا المجتمع صفة الوسطية.

- **همسة الأسبوع:**

الموت لا يُغيِّب إلا الأجساد المنسيَّة...

أما القلوب النابضة بالحبِّ فتبقى ذكراها أبديَّة.

مخدرات العقول والأجساد

الجمعة ٢٦ مارس ٢٠١٠

إنني أكتب هذه السطور بقلمي الأسود اليوم معبِّرًا عما يدور بداخلي من ألمٍ عميقٍ لما آلتْ إليه أحوال شبابنا وبناتنا وجعلتهم في مهبِّ ريحٍ صرصرٍ عاتية، هزات أرضية، براكين ثورية عما عهدناه في أيامنا الخالية، موضوع كنتُ مترددة عن كيفية طرحه بما فيه من أمورٍ مخفية، وإجلاء حقيقة واقعية، عن مجتمع تداعت عمدانه من أعماق البحار صعودًا إلى أعالي القفار.. فالوازع الديني عند مجتمعنا أصبح لسانًا بلا فعل..

رسالة أكتبها لكل شابٍّ وشابَّة، لكل ولي أمر، لكل مدرسة ومدرس، لكل كلية وجامعة، ومعاهد علمية: فقد استولت المخدرات على عقول أبناء وبنات الوطن بشكل يمثل شرارة نار واشتعلت، وأشعلت معها قواعد وأُسُسًا بناها أبناء هذا الوطن الحبيب، بكدٍّ وتعب، وصانها أولياء أمورنا على مدى الأزمان، فوزارة الداخلية تعمل ليلاً ونهارًا لمحاربة الإدمان والمتاجرة بالمخدرات، ولكن لا جهاز ولا حكومة تقدر أن تصفق بيدٍّ واحدة لتحمي أبناء وطنها من هذا الوباء الذي استشرى في مجتمعنا بشكل مأساوي، لم أملك أمامه، ولا من القصص التي أسمعها وأقرأها عبر بريدي الالكتروني، وأعايشها يوميًا عبر قصص تُروى لي من قبل أولادي ومعارفي من أطباء عن شباب وشابات وحتى من هم في منتصف العمر أصبحوا مدمنين بلا رجعة ولا ضابط ولا حدود، إلا أن أتساءل هنا: أين أولياء الأمور؟ أين المعلمون؟ أين الهيئات التعليمية؟ أين الحلول الجذرية؟

أجيال من شبابنا تائهٌ بين كل ما هو يذهب بالعقل ويفني أجسادًا خلقها الله لتكون عابدة طائعة وليست تائهة في ظلمات أودية الضياع والأحلام تحت تأثير

المخدرات والمُسْكِرات، فأصبحت طوع بنان لكل ما ومَنْ يوصلها حالة النشوة لتدفع بها إلى أعالي السماء ثم تهوي بها إلى ظلمات الأودية المظلمة، أو الموت الذي هو نهاية حتمية لمن يسلك هذا الطريق بدون رقابة أسرية، ولا رعاية أبوية، ولا حماية اجتماعية.

فأين المعاهد المتخصصة، والحملات الميدانية ضد هذا الوباء الذي يدمِّر أجيالاً من أبناء وبنات وطننا... فحين تفشت أنفلونزا الخنازير فعلنا وتسابقنا وهلعنا، ووضعت الوزارات المعنية خططًا للوقاية والعلاج السريع، واستنفرت الجهات العليا كلها للحماية، بينما المخدرات والمسكرات تنهش أجساد وعقول أبنائنا، ونحن كالعادة نختبئ تحت ستار الفضيحة والعار ونغض النظر عن التصرفات الشاذة والعادات الهادمة وندرجها تحت غطاء الستر، والمفهوم من المثال «خليها في القلب تدمي ولا عند الناس تروى»، «وأن الله أمر بالستر»، مفاهيم مغلوطة لمشكلة مستعصية وخراب ودمار بيوت وأُسر تحت غطاء الظلمات وفي سكون الليل... وهنا لا أقدر أن أسترسل بما لدي من معلومات عما يجري كملحقات وتبعات لهذه العادات المدمرة من شذوذ وخراب لا يستطيع قلمي أن يخطه عبر هذه السطور.

أما الضياع الآخر للعقول وحتميتها اللاحقة للأجساد فهي الكُتب التي تُسرب إلى كلياتنا الأهلية وجامعاتنا بمعرفة أصحابها ومدرائها ومؤسسيها، كتب دراسية لمناهج الفنون والله أعلم ما هي الفنون، فنون عبارة عن أجساد عارية وصور فاضحة، ومناظر منحلة ولكنها تحت اسم الفن الغربي والمناهج المتقدمة، وأنا هنا لا أتكلم عن راوٍ بل هي بحوزتي، وقد حاولت الاتصال بوزير التعليم العالي مرارًا ولكن لا صوت لمن تنادي، وحاولت أن أتناقش وأعرف لماذا توزع هذه الكتب لبناتنا من دون رقابة وحذف لهذه الصور البشعة والعلم الذي سيضيع بناتنا وشبابنا ضمن دائرة مغلقة من أُطر تاهت فيها العقول والأجساد لتتطوع تحت مسمى الحرية والفنون «الراقية»، وهي من أقبح ما يقدم حتى في البلاد الغربية، وكان

جواب المسؤول عن الكلية أنها سهوة وجلّ من لا يسهو، مع أنني شرحت له أنها المرة الثانية التي يقع تحت يدي كتب فيها هذه الصور الفاضحة بعلم من المديرة والهيئة الرقابية التي وعدتني بعدم تكرارها مع أنها كانت في الأيام الأخيرة من نهاية الفصل الدراسي الأول.

وهنا أتساءل: هل هي متعمدة؟ وجواب نفسي لنفسي:نعم، لأنها كررت ولا صوت لمن تنادي، وكله باسم الحرية والعلم والعلمانية، والتقدم بدون ضوابط شرعية ولا ضمائر حية.. فمن منبري المتواضع هنا أناشد وزير التعليم العالي أن يتقصى الحقائق والطرق التي تدار بها هذه الكليات الأهلية، ومقاصدها ببث هذه التعاليم «الراقية»!، مسببةً ضياع جيل بأكمله من وراء هذه الطرق الملتوية لزرع كل ما هو يضيع شبابنا وعقولهم وأجسادهم ليصبحوا أداة تستعمل بأيدي كل من يستهدف حضارتنا وهويتنا الإسلامية، أناشد الوزراء المعنيين لحماية هذه الأجيال من الضياع الحتمي لعقولهم وأجسادهم الغضة وليقصوا الحقائق بعيداً عن « أنا أعلم» و«سنعالج الموضوع» ! فلنضع معًا حلولاً جذرية هم مسؤولون عنها أمام الله ثم الوطن.

- **همسة الأسبوع :**

يا وطني!

صرخة من أعماقي.

أمانة الضمائر.. وحرائق الأمانة

الجمعة ٢ أبريل ٢٠١٠

قرأتُ وبحذرٍ خبر احتراق وثائق في أرشيف أمانة جدة عمرها ثلاثون عامًا، وكان مفاد الخبر أن حريقًا قد شبَّ في المبنى التابع لأمانة محافظة جدة، وأنه قد تمَّ إنقاذ جزء من الموجودات بالأرشيف المشتعل، وأنه قد أحالت سلطة الدفاع المدني ملف الحريق إلى الشرطة للتحري والتحقيق في ظروف إشعال النار.

وهنا وفي هذه اللحظة اشتعلت أحاسيس الغضب في نفسي وأنا أرجع بذكرياتي إلى الوراء وأتذكر بالتحديد عام ٢٠٠٥ عند بداية تولي أمين جدة الحالي لأمانة منطقة جدة المشهود لها «بالأمانة» وبدون رتوش إعلامي ولا مجاملات لفظية، فكم من الشكاوى تلقيت وكم من القصص سمعتُ، ورأيتُ من القصص الكم الهائل من الفوضى التي تعم هذه الجهة الحيوية الهامة من شريان مدينة جدة.

تذكرتُ الحريق المتعمد حسب التقارير الجنائية التي لم تكتمل قضيتها بعد ولم تنشر نتائجها حتى الآن منذ سنة ٢٠٠٥ في جزء من مبنى أمانة مدينة جدة والذي أتى على عدد كبير من الوثائق والمستندات التي لها علاقة بقضايا عالقة وأراض وصكوك موثقة لدى مواطنين ترجع تواريخها إلى أكثر من خمسة عقود من الزمن، وكان هذا الموقع قد أحيل له معظم الوثائق والصكوك المعلقة قبل أيام من اندلاع الحريق الشهير في ذاك العام، خاصة أنه لم تكن تلك الوثائق والمستندات والصكوك موثقة إلكترونيًا، وبعد وقت قصير من الزمن طمس الموضوع، وكالعادة أعطيت الوعود بمعرفة الجاني ومعاقبته، والتشهير به، وما إلى ذلك من الأغاني والقصائد المعروفة من قبل الجناة والمتسترين على هذه القضية الكبيرة والتي أتت على حقوق كثير من المواطنين من كل الطبقات، وأضاعت ثمار أعمار

وحقوق ورثة، وكأنها لم تكن شيئًا، ولا زالت الأمانة «الأمينة» إلى الآن تبحث عن هذه الأمانة الضائعة ولا زال التحقيق مستمرًا.

ولكن أن يحدث حريق متعمد ومماثل في هذه الأوقات العصيبة، والتحريات المستميتة للبحث عمن تورطوا ببيع مخططات الموت للمواطنين، وجهود مليكنا الدؤوبة للكشف عمن كانوا سببًا من بعد الله في موت مئات المواطنين، وإتلاف آلاف المنازل، والممتلكات، وإهدار الأمانات، وسوء تخطيط المخططات لإرضاء جشع التجار والقائمين من قبل الأمانة على أرواح الناس، أفبعد كل ما بذله مليكنا عبر مختلف القنوات الرسمية والتحقيقات ووضع لجان، وترأس أمير منطقة مكة المكرمة الحريص على إجلاء الحقيقة، لهيئة كشف المستور ومعاقبة المسؤول، وجهود محافظ منطقة جدة المشهود له بأمانته ووطنيته يُحرق ما تبقى من وثائق ومخططات وتحت أنظار الإعلام، لطمس ما تبقى من آثار الإجرام والمجرمين؟ ولا أحد يحرك ساكنًا، وتمر الأيام ونعود لنفس الدائرة من الفساد تحت غطاء الحوادث المجهولة المصدر وتغلف القضية، وتستمر قضية لن يغلقها إلا الله ثم مجهود ولاة أمورنا لتعقب كل من تسول له نفسه باللعب على أوتار الثقة والأمانة والتستر تحت غطاء المسميات والألقاب.

فعبر زاويتي هذه أطالب بحقي كمواطنة كل مسؤول برفع النقاب عن المتسبب لهذه المآسي، فالمسبب واحد والمستفيد واحد، والبحث واحد، وكبش الفداء واحد، فقد تعودنا الإثارة والإماتة، ولكن لدي ثقة بالله ثم بمليكنا وولاة أمورنا أن لن نعود إلى سيرتنا الأولى ولابد من بصيص أمل في آخر النفق، ونحن الآن في آخر النفق، فآن لنا أن نكشف المستور ونعاقب المسؤول.

■ همسة الأسبوع :

- قِيَل:إِن جبْرِيْل عَلَيْه الْسَّلَام أَتَى الْنَّبِي ﷺ فَقَال: « يَا مُحَمَّد، عش مَا شِئْت فَإِنَّك مَيِّت، وَأَحْبِب مَن شِئْت فَإِنَّك مُفَارِقه، وَاعْمَل مَا شِئْت فَانَّك مُجَازَى بِه، وَاعْلَم أَن شَرَف الْمُؤْمِن قِيَامُه بِالْلَّيْل وَعِزه اسْتِغْنَاؤُه عَن الْنَّاس}[1]
- اعْبُد اللَّه كَأَنَّك تَرَاه، فَإِن لَم تَكُن تَرَاه فَإِنَّه يَرَاك.
- وَبَشِّر الْقَاتِل بِالْقَتْل وَلَو بَعْد حِيْن.

(١) رواه الْطَّبَرَانِي

الإعلام الأحمر والقلوب الميتة

الجمعة ٩ أبريل ٢٠١٠

في كلِّ أنحاء المعمورة وشَتَّى وسائل الإعلام المقروء منها والإلكتروني لم أسمع بحياتي عن الإعلام الأحمر، فما أعرفه بأنه يوجد الأصفر وهو أسوأ أنواع الإعلام المعروف عالميًّا بنقله لأبشع أنواع الفضائح والنميمة واختلاق القصص عن المشاهير من السياسيين والممثلين عامة، ولكن أن يكون إعلامٌ أحمرٌ، فماذا يكون؟ صرعة جديدة؟ أم تَوجُّه جديد؟ أم ظاهرة فريدة؟ والجواب عندي.. أنه كل هذا.

من أين جاء هذا المُسمَّى؟ فأقول: إنني مَن ابتكرته، ومنكم مَن يقول لماذا؟ فأقول إنها قصة السيدة صاحبة الخمسة ملايين التي نشرت خبرها مجلة «رؤى» منذ ما يقارب الشهر ولازالت التغطية مستمرة، خبر في الصفحات الأولى، من المفترض أن يكون مثيرًا على غلاف العدد فحواه أن سيدة أعمال تقطن مدينة جدة، ولم تكشف المجلة عن اسمها، عمرها ٣٣ عامًا تبحث عن عريسٍ مقابل إعطائه خمسة ملايين ريال، ولا تبالي إن كان الزواج مسيارًا ولكن على حسب شروطها ومقاييسها، وقد نقلتْ المجلة عن المرأة بالخطِّ الواضح والعريض احتياجها المثير، وطلبها بالخطِّ الأحمر المعروف لدى العُشَّاق والمتيَّمين بالليالي الحمراء بدون وازعٍ ولا رقيبٍ بأنها لن تستطيع الصبر بعد الآن، فليتسابق الرجال والولدان والشباب والشاذون لنجدة هذه المرأة من براثن العازة قبل أن تدخل في براثن المحظور والفسوق والتحريم.

وعندها هرع الرجال والشباب ومَن يُسمَّون أنفسهم بشهداء الواجب لنجدة هذه المرأة والتكالب على هذا المبلغ المهيب، ضاربين عرض الحائط بالمبادئ والقِيَم

والكرامة واحترام الذات، وشِيَم هذا المجتمع الذي «كان» وأقول «كان» يعطي الرجل الوصاية بحُكم إنفاقه على نسائه كما أوصانا القرآن وسَنَّها الرحمن، كشرطٍ من شروط التفضيل، فأين نحن من هذا فبِجَرَّةِ قلمٍ من مجلةٍ، أُضيئَتْ لنا الطرقات وسطعتْ الكشافات على حالِ معظم الرجال في هذا الزمان، فسنترال المجلة كاد أن يعلن الانتحار من كثرة ما انهال عليه من مكالمات من كلِّ حدبٍ وصوبٍ ومن مختلف الأعمار وكلِّ الطبقات، وحتى بتوصيةٍ من الزوجات بالحث على الاقتران بصاحبة المال، غير عابئين بالقِيَم والشِيَم والأمثال، وحتى بكلمات القرآن وفقه نبينا خير البرية والأحرار.

قد وجدتْ هذه المجلة مصطلحًا جديدًا سميته بالإعلام الأحمر يبشر بولادةٍ جديدةٍ لنوعٍ جديدٍ من تجارة الرِّقِّ والعنف النسائي، وإن كان مُغلَّفًا بطبقات من الحُللِ البَرَّاقةِ واللون الأرجواني، لتنشأ مدرسةٌ جديدةٌ لم يسبقها إليها حتى المجلات الغربية، فاصطنعتْ لها لونًا عالميًّا وطابعًا محليًّا للإثارة، مُبطَّنًا لتوصيل المرأة للانحدار وبجدارةٍ إلى أسفل أودية السفاهة والقذارة.

أفبعد هذا نسأل عن المسئول عن هذه الجريمة، عن هذه الخطيئة، وعن هذه الفضيحة، مَن المسئول عن نشرها؟ ومَن أخطأ بحقِّ المرأةِ المسلمةِ العربيةِ الأبيَّةِ؟ ومَن فضح ستر إناثنا ليتاجر بهنَّ كالرقيق؟ وينثر الرماد ويغشي البصيرة؟ لأرقى وأسمى معنى للأنثى التي خَطَّ التاريخ على مرِّ الزمان بصماتها من شجاعةٍ وإقدامٍ واحترامٍ وأمومةٍ.، وهنا أستشهد بكلمةِ الملك عبد العزيز - رحمه الله - :"أنا أخو نورة" فأين هذه المجلة من هذا الكيان؟ أبفعلها فكرتْ أن تصبح من أشهر المجلات وتزيد من مبيعاتها على حساب شرف المرأة السعودية وكرامتها؟ لتُسلِّط الضوء على انهزامِ الرجلِ في بيئتنا، وتسلب مِنَّا احترام الذات، وتضعنا للإيجار والبيع على حسب أهواء ناشريها والمسئولين عنها.. ألم يقرأوا عن المرأة الخمسينية التي كانت تعرض مسح السيارات مقابل عشرة ريالات أمام أشهر مركزٍ تجاريٍّ بالرياض بهدف إطعام أطفالها، أم أصبحتْ قلوبهم ميتة وغلب اللون الأحمر على

طباعهم الإنسانية، كم يوجد من الأمهات يشتغلن لإطعام أطفالهن، ولم تُسلَّط الأضواء عليهنَّ ولم نكتب سيرهنَّ؛ لأننا أصبحنا في زمن الإعلام الأحمر الذي يمجِّد الإثارة، ويثير أقبح أنواع القضايا الاجتماعية، وينسى الأجساد والأرواح المتفانية لتُنشِئ أجيالاً ضائعةً بين الفقر والعوز، والانسياق وراء ما تقتضيه الأحوال الآنية من رقٍّ وتشريد، واشتعال ثورةٍ داخليةٍ على المجتمع والإعلام والمسئول عن ضياعهم، في مهبِّ ريحٍ عاتيةٍ أعطتْ أولويات للانحلال والنزول من قمم جبالنا الشامخة إلى منحدرات مجهولةِ الطريق والهوية، وماتت القلوب والضمائر عند بعض أصحاب القرار في الإعلام عن ما سميته "الإعلام الأحمر"؛ فالقرار مازال بيدنا يا معالي وزير الإعلام لنغيِّر صفحتنا وألواننا لتصبح ناصعة البياض فهذا هو لوننا، وهذا هو لون إسلامنا أبيض نقي لامع، يجول الآفاق ويطير بجناحين كحمامة سلام بيضاء اللون، هدفها توصيل الرسالة وأداء الأمانة لمَن يريد أن يأتيه اليقين بهدوءٍ وسلامةٍ.

- **همسة الأسبوع:**

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال:

منهومان لا يشبعان: صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان، فصاحب العلم يزداد رضا الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى بالطغيان.

التلاعب على أوتارِ الحديدِ والحق العام

الجمعة ١٦ أبريل ٢٠١٠

قرأتُ في الصحف هذا الأسبوع من العناوين العريضة ما يوحي أننا نعايش واقعًا كلَّه غشٌّ وفسادٌ وتلاعبٌ في أسعار الحديد إلى إهدار المال العام، ومن إصدار صكوك مزيفةٍ إلى إيقاف بيع مخططات سكنية غير مزودةٍ بالبنية التحتية، وهل من مزيدٍ، والجواب: نعم، فكم من الأمورِ المخفيَّةِ والنوايا المُزيَّنةِ ببريقٍ إعلاميٍّ خالي الوفاض من القرارات الواقعية، فما نفع التصريحات من الوزارات المعنيَّةِ بلا قرارات فورية، ووضع خطوط حمراء لا يقدر أن يتعداها ذوي القلوب المريضة والضمائر المنسية؟ أفلا يوجد رادعٌ لهذه الجهات، ولا قضاء يحاكم هذه الفئات؟ ولا أحكام تكبح جماح التجار والإتجار بحياةِ الناسِ واقتصاد البلد من مشاريعٍ واتفاقيات دوليةٍ جاريةٍ تحت التنفيذ مُعطَّلةً بسبب عدم استقرار السوق المحلية، كيف لنا أن نعمل في أجواء لا تعرف الاستقرار بالأسعار، وكلُّ يومٍ نحن في شأنٍ؟ اقتصاد بلدنا مرهون بأهواء التجار من صعود للأسعار وهبوط للقيم الإنسانية؟ كيف؟.. وأسأل هنا سؤالاً تحته خطٌّ عريضٌ وعلامة استفهام لا نرى لها فعاليةً، وكيفية إعطاء الثقة للمستثمر الأجنبي والوكيل المحلي أن يتعامل مع وضعٍ لا يوجد له ضوابط ولا قوانين ثابتة صارمة لا تعطي المجال للتلاعب على أوتار الأهواء والمصالح البشرية؛ فالله سبحانه وتعالى خلقنا بقوانين وسيَّرنا بدقةٍ وتنظيمٍ، وإن اختل أحدُ أعضائنا تداعتْ له سائر الأعضاء، وهذا حال اقتصادنا وقوانيننا، فقد اختلَّ الميزان، وتداعتْ بعض الأعضاء، وأصبحنا عُرضةً لتداعي باقي الأعضاء في قوانيننا المحلية والعالمية لنصبح بدون مصداقيةٍ لا في الوعود ولا في استقرار الأسواق المحلية، لا من أسعار حديد ولا أسهم ولا حتى الأغذية

الإنسانية التي يقتاتُ منها المواطن، وهي من الأساسيات المهمة في حياتنا اليومية، فتارةً تقفز أسعار الأرز إلى أرقامٍ وهميةٍ وتارةً تَشحُّ مادةٌ أساسيةٌ كالقمح في أسواقنا المحلية وترتفع الأسعار وكأننا في بلادٍ مَنسيَّةٍ بعيدةٍ عن الإسلام وسُنَّة وفقه خير الأنام..

فأين الديمقراطية كقانون لبلادنا الثرية؟ هل سنصبح أداةً لكلِّ يدٍ مختلسةٍ مُحتكِرةٍ من التجار بمساعدة بعض مَن يحملون الصفات اللانسانية والمحاذير الإلهية التي نهانا عنها الرحمن في كتابه وعلى لسان خير البرية، ألم يروِي لنا الله سير أقوام أخلَّوا بالميزان وتلاعبوا على الرحمن فأصبحوا سيرةً مرويَّةً وعبرةً في القرآن لكلِّ معتدٍ أثيمٍ، وأثارهم باقية لمَن يريد الصحوة والتوبة وإعلاء كلمة الله الحق الذي وضع لنا أسس التعامل في حياتنا من الألف إلى الياء، ولم يترك لنا الرسول ﷺ طريقًا إلا أكمله من التعامل التجاري والميزان الإلهي، وقد أَتَمَّ لنا ديننا وترك لنا سُنَّته لاتِّباعها فأصبحت قصةً منسيةً ومنهجًا لا نسير عليه إلَّا عندما يتلائم مع أهوائنا الشيطانية التي أصبحتْ سمةً من سمات قوانيننا المحلية، فنطبقها تارةً عندما تلائم أوضاعنا ومكاسبنا التجارية، ونتركها ونفتي بجواز المحظور ونتلاعب بالكلام لنضع لها قاعدةً دينيةً.. ألم يحذِّرنا الرحمن ثم خير الأنام ﷺ من التلاعب بالإنسان وقوت يومه، وعدم الإخلال في الميزان، وأخذ ولو شبر أرضٍ ليستْ من حقه، ووعده الحق بأن يحاسبنا أشد حسابٍ على كلِّ مَظلمةٍ للعباد، وأنه لن يسامح أو يغفر أبدًا مَظلمةَ العبدِ للآخرِ؛ فتزايد أسعار الحديد الآن تؤخر مشاريعَ شَتَّى وحيويةً في بلادنا وتضع لها مقاييس وميزانيات جديدة، فأصبح الناس في حيرة من تَغيُّرٍ للميزانيات الموضوعة والخطط المحددة بأوقاتٍ معلومةٍ، إلى مشاريعٍ لا يعلم إلَّا الله أخرها، واستكمالها كعادتنا في أمورنا التجارية؛ فالمشاريع عندنا تبدأ بخططٍ وأوقاتٍ ثم تمتد إلى سنينٍ، تارةً لندرةِ الأسمنت وغلائِه، وتارةً الحديد، وتارةً الله عليمٌ من المواد الأساسية.

فكيف لنا أن نتقدم إلى الأمام والجشع يُرجِعنا إلى الوراء أميال وأميال؟ فلا استقرار في الأسعار ولا ضمانات، فكيف لنا أن نتقدم إلى الأمام ونصبح من الدول المُصدِّرة وندخل بفاعليةٍ مُؤكَّدةٍ لمنظمة التجارة العالمية وسوقنا المحلية ينقصها القوانين الحازمة المُلزِمة للجميع لنستقر ونزدهر ونتطلع إلى مستقبلٍ مشرقٍ؟ فلِمَ تتوانى المؤسسة الحاكمة عن إصدارِ القوانين، ولم يبخل الملك - حفظه الله - عن إصدارِ أوامرٍ مَلَكيَّةٍ لتكفل استقرار السوق المحلية...

فمَن المُخلُّ في الميزان؟ أين الحلقة المفقودة في الدائرة الكاملة الاستدارة، لابد لوزرائنا المعنيين أن يتابعوا ميدانيًّا القوانين ويتعاملوا بصرامةٍ وبحلولٍ جذريةٍ لحالنا المأساوي في بلادنا التي هي مهد الرسالة، وقوانينها مُستَمدة من القرآنِ والسُّنَّةِ النبوية وتطبيقها شرعًا، وبدون مجاملةٍ لأيةِ جهةٍ سواءً كانت محليةً أو دوليةً.

■ **همسة الأسبوع:**

{ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }(١)

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢

حروب وغروب الخطوط الجوية السعودية

الجمعة ٢٣ أبريل ٢٠١٠

أجازة سعيدة ورحلة موفقة مع خطوط السعودية!

هكذا نبدأ الرحلة مع خطوطنا المشهورة والمميزة بخدماتها الراقية ونظامها الدقيق والنوعية الممتازة من المأكولات وخدمات مضيفيها المميزة ومعاملتهم الجيدة من ابتسامةٍ وكلمات ترحيبيةٍ ورحلات في دقَّة الساعة السويسرية والمواعيد الإنجليزية! مميزة في كلِّ شيءٍ حتى في رئيسها الذي تنهمر عليه الشكاوى من كلِّ حدبٍ وصوبٍ وبقدرة قادر يتجاهلها بكلِّ مسئوليةٍ ووطنيةٍ! ويعتبرها شخصية من ناس مُغرضِين، لا هَمَّ لهم إلَّا انتقاده رغم جهوده الجبارة لإصلاح أهم الشرايين في مملكتنا الحبيبة!

فالكلُّ يعتمد في تنقلاته الداخلية على الخطوط السعودية، ويتساءل المسئولون عن إدارتها «بما أن خطوطنا مرغوبة ورئيسية» فلماذا نهدر المال لتصليحها؟! أو حتى تطويرها، فالأساس أن نظهر للعالم أننا الأوَّلُون في إهدار المال العام! وأننا أصبحنا الأوَّلِين الذين يجاهرون بالمعصيةِ والعصيانِ، فما بذله ولي العهد - أطال الله بعمره - عبر الأجيال تلو الأجيال بضخِّ أموال ومليارات لتحديث الخطوط والمطارات لتصبح من أفضل الناقلات الجوية والمطارات العالمية ونواكب التطور والتعداد السكاني المستمر الذي يزداد يومًا بعد يومٍ، ولم يبخل بالإصلاحات ولا الأموال ولا الأمراء المساعدين لإعطاء هذه الواجهة المهمة لبلادنا أفضل الصور والإطارات واللوحات الزيتية والمائية لتصبح أفضل الخدمات الجوية... وها أنا أتساءل: أين ذهبتْ هذه الأموال؟ وأين ذهبتْ هذه الأوامر؟ أين وكيف ومَن يتجرأ يومًا بعد يومٍ بإنشاء حروب ومعارك مع مسافريها

وزبائنها ضاربين بعرض الحائط الأوامر السامية والأهداف التي رسمها الأمير سلطان بن عبد العزيز برويةٍ وإتقانٍ وحبٍّ ووطنيةٍ، فشوَّهُوا صورةَ خطوطنا ودمَّروا واجهتنا، واستغلوا الأموال ربما لأغراضٍ شخصيةٍ، فحالتنا مأساوية من إلغاء حجوزات وانتظار لساعات ووصول طائرات في نفس التوقيت إلى موانئها ولندخل طوابير الانتظار غيرَ عابئةٍ بالمسافر الذي ربما ينتظره عملٌ أو ترانزيت إلى دولةٍ أخرى، أو مواعيد عملٍ لا تحتمل الانتظار، هذا عدا الفوضى التي تَعمُّ المطارات، والحجوزات وخاصةً في وقتِ الأجازات، فقد أدخلتْ الخطوط مشكورةً نظامها الإلكتروني الجديد في أول أيام الأجازة السنوية لتصبح مثل شركة الجوال السعودية أكبر مثال للفوضى والضرب بعرض الحائط بمصلحة المواطن، وكونه إنسانًا يريد السفر والتأكد من وصوله إلى أحبائه قبل انتهاء الأجازة، فاكتظت المطارات وأُلْغِيَتْ الحجوزات بما فيها حجزي الشخصي إلى الرياض، وكنتُ قد حجزتُ قبلها بأسبوعين، فبقدرة قادر أُلْغِيَتْ الحجوزات وعَمَّت الفوضى كلَّ المطارات، فلا الأحباب وصلوا إلى أحبائهم ولا العاملون وصلوا إلى أعمالهم وشنَّتْ حروب وجولات وصولات في المطارات من سبابٍ وشتمٍ ودعوات على مَن كان السبب في إدخال هذا النظام في هذه الأيام، فكيف يدخل نظامٌ على أهم وسيلة نقلٍ بهذه الطريقة العشوائية، وأيُّ نظامٍ بدائيٍّ ينتج عنه كلَّ هذه الفوضى؟ فإن كانت المليارات دُفِعَتْ لتحديث النظام، فقد وضحت الصورة بأنَّ هذا النظام لا يسوى حتى الملايين فأين ذهبتْ باقي الأموال؟ ومَن يتجرأ في هذه الأيام على استكمال حلقة الفساد، ليعلن غروب خطوطنا في جغرافيتنا، فالغروب هو آخر مطاف التسلط والديكتاتورية؟ أفلم يقرأوا التاريخ بأنَّ لكلِّ إنسانٍ فجرًا وشروقًا وغروبًا؟

أصبحتْ سيرة خطوطنا على كلِّ لسانٍ، وأصبحتْ خطوطنا رمزًا للإهمال والنسيان من قِبَل القائمين عليها، وحتى الطائرات الجديدة أصبحتْ قديمة نتيجة الإهمال وعدم الصيانة، وطائراتنا القديمة أحزن عليها فهي مُهمَلة مَنسيَّة، فلا

أجهزتها تعمل ولا طاقمها يقدر أن يلبِّي الاحتياجات الأساسية من طلبات وتساؤلات بأعين المسافرين، وبلسانٍ يسأل عن كيف انحدرت خطوطنا إلى هذه المستويات مع كل ما يُضَخُّ ويُصَرَّحُ به في الإعلام من أموالٍ من دولتنا الرشيدة والحكيمة، كيف استطاعوا أن يتجاهلوا كلَّ الإنذارات بهبوب عواصف القضاء على الفساد والإفساد من مليكنا ملك الإنسانية؟ فالعاصفة قادمة أيتها الخطوط السعودية؛ فهي عاصفة قاضية ستلعب بأجنحة الفساد وتكسرها على شواطئ العدلِ وسنة الاستقامة ويضمحل كلُّ مسئولٍ عن هذا الاستخفاف بالمواطن وولي الأمر ليصبح ترابًا ومن ثَمَّ مَنسيًّا، ولكن سيكتب التاريخ أنه في يومٍ من الأيام انتقم الله من كلِّ المعتدين الآثمين على يد مليكنا وولي عهده وحكومتنا الرشيدة.

لنضرب بسيف العدالة كل مَن تُسوِّلُ له نفسه اللعب بأرواح وأرزاق العباد، وسيسطع نجمٌ جديدٌ في سمائنا اسمه الخطوط الجوية السعودية الأَبيَّة بإدارةٍ جديدةٍ خالية من بؤر الفساد، وسننظر إلى الأفق البعيد وللأجيال القادمة بفخرٍ واعتزازٍ بأننا استطعنا في هذا العهد أن نقضي على الفساد من دون نظرةٍ إلى الوراء وننظر إلى الأمام بكلِّ ثقةٍ وثباتٍ.

- **همسة الأسبوع:**

أنتظر كلَّ يومٍ متحديةً الأحوال الجوية العاصفة شروق شمس العدالة والعناية الإلهية واثقةً أنِّي سأرى شروق شمس رائعة الألوان والوضوح والنقاء تحت راية "لا إله إلَّا الله محمد رسول الله".